جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

الحركات الاسلامية في منهجها وقيادتها

الدكتور : عبدالحميد محمد المنيف

الرياض

1407 هـ - 1987 م

الحركات الاسلامية في منهجها وقيادتها

الدكتور عبدالحميد محمد المنيف*

ان الحملات المناهضة للاسلام التي تتزعمها الصليبية العالمية بكافة وسائلها تضافرت على مقاومة الصحوة الاسلامية وتحمست في وقوفها في وجه الزحف الاسلامي والتحول بالمسلمين من صف الريادة والقيادة، متخذة في موقفها هذا جميع الوسائل بما في ذلك الحركات التبشيرية داخل المجتمعات الاسلامية وغيرها ووسائل التشكيك والتجهيل والتضليل العالمي ومساندة الاستعمار برؤوسه الثلاثة الشرقية والغربية والصهيونية، وان المجابهة التي تتلقاها الدعوة الاسلامية والمجتمع المسلم في كافة انحاء العالم وعلى يد جلاوزة المكر والكيد والحقد، ليدعو كل ذلك المسلمين، افرادا وجماعات وحكومات الى مراجعة النفس ومدارسة الحالة الحزينة الكئيبة وتحريك الهمة للمسارعة الى انقاذ هذه الأمة الممزقة من الفناء والذوبان، اقتناعا بان لكل فرد منا ولكل مجموعاتنا ثم لكل حكومة من حكوماتنا في حساب اعدائنا وما يضمرونه نحونا دوره المعين، ويومه المحدود، وان غدا لناظره قريب. اذ كما هو معلوم ان هذه الحملة المسعورة لن يفلت من عواقبها أحد، فلقد انطلقت من تخطيط قائم على مبدأ صليبي عدواني، يجعلنا كلنا في صعيد واحد ويبيت لنا جميعا مصيرا واحدا فكلنا فلسطين اليوم واندلس الأمس ولبنان المستقبل، ولا تغرنا منهم مظاهر الصداقة الموهومة والمودة الزائفة وبوادر العطف والحماية فتلك ـ لعمري ـ ﴿كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا﴾[1]، كما ان لكل منا عندهم موعدا لن يخلفه. ﴿ان موعدهم الصبح أليس الصبح

* مدير الدراسات ونائب عميد الكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين ـ الجامعة التونسية

١ ـ سورة النورة آية: ٣٩.

بقريب﴾[1]. وذلك - في مقدراتهم هو مصير المجموعات والحكومات الاسلامية المتمزقة والمنقسمة على نفسها والتائهة في طريق الضلال والغرور والغباوة. إنه اقتطاع وابتلاع مرحلي مبيت، لا نبعد في هذا الحال كثيرا عن حال الثيران الثلاثة التي جرت على لسانهم الحكمة القائلة: "أكلت يوم أكل الثور الأسد"

ومن هنا أصبح أكيدا على كل مسلم سواء كان على الصعيد الفردي أو الجماعي أو الحكومي وحتى يحفظ على الأقل كيانه ويحمي ذاته تأدية واجبه المفروض عليه كمسلم ان يتحرك لمجاهدة هذه الحملة العدوانية الشرسة ومقاومتها والاجهاز عليها، وان يعمل بجد وحماس واخلاص على حماية نفسه وحماية مجتمعه وخدمة ابناء جنسه، وان يسارع للاستجابة الى الداعي لما فرضه الله على الناس من حد للعدوان من جهة، ومن تبليغ للحق ونصرة للعدل وأخذه بيد المستضعفين من ناحية أخرى.

ولعل هذا اللقاء جاء ليحقق هذا المعنى ويهدف له، كما أقيم ليعبر عما في النفس من القلق والحسرة وليترجم عما عقد عليه العزم من الاستجابة الى صوت الواجب، فوجب شكر القائمين عليه. ووجب ضم الجهد اليهم ومد يد المساعدة لهم والانضمام اليهم في هذه الدعوة المباركة الى التفكير والبحث عن طريق تعتمد لتوحيد الصفوف والطاقات، لتحريك الهمم من أجل مضاعفة الجهود الى ارجاع الثقة في النفوس وارجاعها بالنفوس ومن أجل الرجوع الى الله واللوذ به والاعتماد عليه في تحرير المسلمين مما يراد بهم، ومن أجل العمل على خدمة الدعوة الاسلامية وتنشيطها ومساعدة العاملين في ساحتها وتمكينهم مس أداء واجبهم داخل مجتمعاتهم وخارجها امتثالا لقوله تعالى: ﴿فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون﴾[2]، واستجابة لداعي قوله سبحانه تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الي الخير ويأمرون

---

١ - سورة هود آية: ٨١.

٢ - سورة التوبة آية: ١٢٢

بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون﴾[1]

ولعل هذا بعض الحوافز لما جاء عقب ما أكدته الأيام فقام مقام الجزم القاطع واليقين الراسخ والايمان الجازم الذي لا ريب فيه من أن الكفر ملة واحدة، وان كل عدو ترجى مودته الا عداوة الدين، وان العزة والكرامة والحرية والسيادة لا تقوم على الاستجداء وانما:

على قدر اهل العزم تأتى العزائم وتأتى على قدر الكرام المكارم[2]

وما نيل المطالب بالتمني ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

وليس بعد قضية فلسطين المسلمة ولا بعد حرب لبنان وتحالف الكافرين على المسلمين خصوصا عقب هذا الاستسلام الثنائي الى اعتداء الغاصبين المستعمرين، ليس بعد هذا ولا ذاك مايدعو للتردد وللأمل والرجاء والانتظار واذا كان الهدف المهم من وراء هذه اللقاءات ومن وراء هذه البحوث خدمة الدعوة الاسلامية وايجاد المناخ الصالح لها وتوفير ما يلائمها من العدة المادية والقوة الروحية فالواجب الأكيد الملح والذي يفرض نفسه ويتقدم كافة المواضيع والمشاكل الاسلامية القائمة مراجعة الحالة المزرية التي نحن عليها ومعالجة البنية الاجتماعية والاسلامية ومدى صلتها بالاسلام وقيمها الحقيقة. وذلك حتى نتمكن من انتهاج منهج سليم ينتهي بنا ـ حسب السنة التي سار عليها الرسول (ﷺ) في الدعوة لهذا الدين الى ايجاد الفرد المسلم الصالح واقامة المجتمع الاسلامي الصالح وهذا قد يسوقنا حتما الى مراجعة سريعة واستعراض خاطف لتاريخ الأمة الاسلامية بطريقة نقدية نقف بها على العورات والانحرافات التي مالت بالمسلمين عن مواصلة المسيرة الأولى فانتهوا الى ما انتهوا اليه حتى يقع الاعتبار ويتحقق الاتعاظ لعل الله يوفقنا الى أنجع السبل ويحدث بعد ذلك أمرا.

---

١ سورة آل عمران آية: ١٠٤

٢ ديوان ابي الطيب المتنبي.

والحق ان تاريخ المسلمين والمعاصر منه بالخصوص، ملىء بالتحرك للتنشيط في سبيل الدعوة الاسلامية والقضية المطروحة هي الرجوع بالاسلام الى سالف عزه وبالرجوع بالمسلمين الى حظيرة دينهم عقيدة وفهما وسلوكا. فلقد طال بنا التباكي والمسكنة، وبحّت اصواتنا من التشكي والتوسل وقمنا بالمحاولات المتعددة وصرفنا الكثير من الطاقات ولكن الأيام لم تكتب لنا فوزا، ولم تحقق لنا فلاحا، ولم تعدل منا انحرافا ولا ارتدادا. فلم نقف موقفا نرتاح فيه ليومنا اكثر منه لأمسنا، بل كانت حالنا اليائسة في ايامنا هذه لا تقل قسوة ولا شؤما عن تلك التي عناها الشاعر العربي حينما قال:

رب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه[1]

اننا بحثنا وما زلنا نبحث عن ثوب نرتديه ونلبسه يحمينا من لهب التراجع عن ديننا وزمهرير الانحراف والشرك والتبعية والاستغلال. فكنا نضعه ثوباً مرقعاً وننسجه نسيجاً خليطاً اقتبسناه مما قدم لنا من حضارة الغرب وتفسخها وانحلالها وما أريد لنا من السير في موكب التبعية.

فبلادنا بلاد منسوبة الى الاصلاح، ولكن الذي يجري في بلادنا مرفوض من الاسلام ومحرم لديه، ونحن نحاول ان نحمله عليه، والناس كلهم مبتهجون او في حكمه واهل الحل والعقد من اهل الفكر والعلم راضون يبحثون له عن مسوغ ويختلقون له مخرجاً ومبرراً. والقليل منهم يكتفي بالحوقلة والهمهمة او الصمت يتوارى من الناس من سوء ما الصق به من الخزي والعار الا الذين آمنوا فجاهدوا وكافحوا وقليل ماهم.

ومجتمعنا في البلاد الاسلامية يصر على انه مسلم، ولكن كيف هي حال افراده من مختلف الطبقات نساء ورجالاً صغاراً وكباراً؟ وكيف هي وجوارحهم وقلوبهم ودخائلهم؟ والكل في الخيرات يتمرغون وفي البحبوحة يتنعمون ﴿**وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم**﴾[2] الحقيقة ان واقعنا لا

---

١ ـ ابي الطيب المتنبي.

٢ سورة النور. الآية: ١٥

يصدق انتسابنا فنحن احد رجلين: اما جاهل بدينه واما عالم جاهل بما يفرض عليه دينه[1] قال ﷺ: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم[2] ان الذي يعلم ولا يعمل بعلمه فكأنه جاهل به. قال تعالى: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: لا يكون المر عالما حتى يكون بعلمه عاملاً.

اننا كلنا نعمل في محاولة لاصلاح اوضاعنا لا شك في ذلك، ولكننا لم نضع ايدينا على موطن الداء ايضا، ولم نتأس كذلك برسول الله ﷺ سوادنا يعيش وهو لا يعلم عن دينه الا ما ورثه تقليدا عن الآباء ولسان حالنا يقول ﴿حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾[3] وخاصتنا يعيشون لأنفسهم ابتغاء متاع الحياة الدنيا. فلا عجب اذن مما ترينا فيه، ولا ننتظر اكثر مما نحن فيه ولا نحسد عليه نحن لا نشكو مؤسسات ولكننا نشكو من يديرها. ونحن لا نشكو ارشادا ولا توجيها، ولكننا نشكو سلوكا واخلاصا ونشكو من يعيش المعرفة ولا يعمل بمقتضاها

نحن في حاجة الى البحث عن السلوك الحسن لا عن القول الحسن، ونحن في حاجة الى البحث عمن يتولى مهمة الارشاد والتوجيه والدعوة على اساس انها دين لا على اساس انه محترف ومرتزق تعود على من يتعاطاها بما تدر به الخزائن من أموال ومتع وجاه. نحن ـ كما هو الواقع المر ـ ما زلنا في بداية الطريق ان لم نكن في مضيعة نبحث عن بداية هذا الطريق، فلو سمحنا لانفسنا بالنقد الذاتي ونقبله لتبينا ان ما نبذله من طاقات حولنا نستلهم المدد من غيرنا لاصلاح أحوالنا لو بذلنا على أنفسنا لكان أجدى وأنفع. ومع ذلك فاننا ـ والحال كما ذكر ـ نبحث عن موقع لنا بين الناس على أساس أننا مسلمون ونمثل الاسلام وندعو له في حين أننا أحوج ما

---

١ ابن حيان في كتابه روضة العقلاء، والبيهقي في المدخل موقوفا على ابي الدرداء.

٢ الحاكم من حديث حذيفة والطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر.

٣- سورة المائدة. الآية: ١٠٤

نكون لاصلاح أنفسنا وفهم ديننا على غرار من سبقونا بالايمان وتنزل عليهم القرآن فعملوا به وتلبسوا بما جاء به وبينته السنة النبوية دون احتياج الى منهجية جدلية منطقية فلسفية تعتمد القول والتأويل والتخريج للوصول الى نتائج سواء أقرها الاسلام أو لا يقرها فتفرض عليه فرضاً وتلبس لبوس الصحة والقبول.

ان هؤلاء السابقين الأولين كانوا يتعرفون على الاسلام ليعملوا به وليدعو الناس للعمل به لا ليدرسوا فقط ويتحولوا به من عالم الجوارح الظاهرية والباطنية الى العالم النظري الكلامي لا يتجاوز فصاحة القول وحسن اللقاء وبراعة اليراع وبلاغة الاسلوب وذلاقة اللسان وأبهة المظاهر والمجالس والمراكب والمساكن والمآكل

فاذا ما اردنا بحق ان نقوم بخدمة انفسنا في خدمة ديننا ومجتمعنا فعلينا بالتأسي برسول الله ﷺ في الطريق والمنهج قال تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾**[1]، وعلينا بالتحلي بما تحلى به اصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام وأجله القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا﴾**[2]

ثم بعد هذا علينا ان نتجنب في بناء مجتمعنا الاسلامي لاصلاحه والعودة به الى حظيرة دينه ان نتجنب الترميم والترقيع والتلفيق وان نضع ايدينا على الداء لنستأصله نهائيا نعالج الجذور بالعودة الى مفاهيم الاسلام فنفهمها على حقيقتها، والى اقامة احكامه وحدوده والتحلي بأخلاقه متخلصين من كل تبعية وولاء لغير الله سبحانه وتعالى باخلاص وشجاعة

---

٢ - سورة الأحزاب. الآية: ٢١

٣ - سورة الفتح. الآية: ٢٩

وجرأة وتجرد، لا ندين لغير الله ولا نشرك به احدا، غير هيابين ولا مستعينين باحد سواه. شعارنا: لا اله الا الله، محمد رسول الله ولا حكم الا لله، والله أكبر من هنا وجب البحث عن السبيل الى هذا الذي عقدنا العزم على تحقيقه حتى نتمكن من ضبط ادوار الأمة الاسلامية لانقاذها مما هي عليه من الهوان والعبودية والضياع، كما وجب البحث عن المنهج الذي نتوخاه لتمكين الاسلام والمسلمين من القبض على زمام المبادرة واعلاء كلمة الله على ضوء التأسي والاقتداء. الذي لا شك فيه انه لا بناء بدون قاعدة ولا أساس. ومعلوم ان اساس البنية الاجتماعية هو الفرد الذي يتكون منه ومن امثاله المجتمع.

ولما كان الدين الاسلامي دين عقيدة ودولة بلامراء، بنيت دعوته على اساس اجتماعي حضري، فكان الناس عامة يرعاهم ويهديهم الى الخير والسعادة والاصلاح. وكانت مسيرته قائمة على منهج رباني سار عليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضوان الله عليهم. فأولى هذا الدين بمقتضى ذلك ـ الأفراد كل العناية والترويض والتوجيه والاصلاح في مرحلة امتدت سنوات طوالاً مدة اقامته عليه الصلاة والسلام في مكة المكرمة بعد البعثة وهو يدعو الناس الى الاسلام

وكان ذلك بغية تكوين الفرد الصالح. حتى اذا ما اكتملت النفوس وتهذبت الطباع وتحولت الافراد الى عمد راسخة ثابتة متناسبة مع ما ينتظر من أمانة واستخلاف، مستوعبة للمكارم والمحامد والفضائل، متحمسة لما تلقته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، متحمسة بما القاه عليها وبلغه لها عن الله سبحانه وتعالى، توجه عليه الصلاة والسلام مهاجرا من مكة الى المدينة المنورة ليبني من تلك النفوس الطاهرة والعناصر الصالحة المجتمع الاسلامي الصالح والدولة الاسلامية الشامخة والمتخلقة بالاسلام والقائمة على مبادئه والمتعاملة باخلاقه والحاكمة بما انزل الله والآخذة بيد الانسان لتسمو به الى المستوى الانساني متحررا شامخا أمنا مطمئنا بعيدا عن الذل والمهانة والاستغلال والاستعباد، متخلقا بالاخلاق التي اصطفاها الله له

ليستحق مرتبة تعمير الكون والاستخلاف فيه والسير به وفق مشيئة الله وسنته

وهذه هي المرحلة المدنية التي قاسمتها المرحلة المكية عمر بعثة الرسول ﷺ وهكذا توفرت للامة الاسلامية بهذه الطريقة عناصر الحصانة من كل نكسة وانتكاسة. وهكذا تميزت الدعوة الاسلامية، بمنهجها العجيب القائم على التوازن بين الفرد والجماعة والتكامل بينهما، ففيها رعاية الفرد واصلاحه حتى يتحول الى عنصر صالح يتألف منه المجتمع الصالح انطلاقا من ان النفوس الخربة غير قادرة على اقامة مجتمع صالح تتألف منه امة جديرة بالحياة. تلك هي سمة عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم وتلك هي حالة الصحابة وحالة التابعين وتابعي التابعين.

ثم خلف من بعدهم خلف تحكمت فيه الاهواء بحكم بعد اصحابها عن المنهج النبوي، وبحكم دبيب الجهل بالدين فيهم وتحولت هممهم بهم عن توجيهاته متجهه بهم نحو حب المناصب والتكالب على السلطة والتصارع عليها، ونحو التعلق بالمتاع وحب الذات والاندفاع نحو الشهوات والهيام بالدنيا راكضين وراءها، متباغضين متنافرين، تحدوهم الأنانية وتستبد بهم الطبقية ويقهر منهم القوي الضعيف وتلاشت بينهم القيم. فتصدعت بذلك صفوفهم وتخاذلت هممهم وتداولتهم يد الخسف حتى استطابوا الذل واقاموا على الهوان ولم يبق لهم أي اعتبار

وتمثلت حالهم بحال من عناه الشاعر بقوله:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت ايلام

وانتهى العالم الاسلامي الى ماهو عليه الى الآن من التمزق والتفكك والتبعية والاستغلال والعبودية يستبد بهم الجهل ويدفع بهم الى الهلاك الشره الى الحكم والتقاتل عليه والاستبداد به واطلاق يد العابثين المستغلين في المسلمين تفعل فيهم ما تشاء كأنهم قطيع من الغنم أو طائفة من العبيد في قبضة الرياح تميل بهم كل مذهب ونالهم في الاندلس من التعذيب والتنكيل والتشريد والتنصير، وضاعت من ايديهم البلاد الاندلسية وغيرها في الماضي

البعيد، ولا ندري ماذا سيفعل بفلسطين وجاراتها لا قدر الله.

كل ذلك سببه التنكر للدين والانصراف عن تعاليمه واحكامه بل والتحمس للتنازل عن الاحتكام لغيره كما هو الحال بالنسبة لفلسطين والرضا بالتحول بها من دولة اسلامية الى دولة علمانية بعيدة عن الحكم بما انزل الله وعن حظيرة الاسلام والمسلمين. وهكذا نكرر ونؤكد ونقول : فخلفت اجيال جهل وجاهلية اخذت تبتعد سراعا عن معين الاسلام وتتساهل فيه ويغيب عن قلبها وعقلها ومشاعرها الايمان والعمل به كما تحول الاسلام عندها وعلى يدها من عالم السلوك والتلبس الى ساحة القلم واللسان، ومن ميدان الفهم والاقتناع والاقبال على الاخذ به والسير على هدية ابتغاء مرضاة الله الى مجال العاطفة والمتعة العقلية والاجواء العلمية الفلسفية والتبحر فيها والتباهي به بالغلبة على الاقران لتسنم ذروة الشهرة والجاه وللتحلية به زينة للمجالس وللخوض به في ميادين بعيدة عن طبيعة الاسلام، وللسير به نحو غايات ليست من اهداف الرسالة المحمدية ولا من مقاصد القرآن الكريم ولا من محاور السنة الشريفة

ان الدين الاسلامي دين عملي وليس دينا نظريا قوليا ولا جدليا كلاميا. وهو دين واقعي واجتماعي وليس دينا عاطفيا رهبانيا. وهو ايضا دين الحياة ودين الناس جميعا لا دين فلاسفة ومناطقة وجدليّين يعيشون للمجالس والمناظرات في اجواء خاصة تجعله حكرا عليهم، لا يحيا مع الناس ولا يتفاعلون معه ولا يرجعون اليه للخشية والاعتبار وهو كذلك دين كد وسعي واجتهاد يحرض على ذلك ويرفض خلاف ذلك. فهو يدعو للعمل ويحرص عليه فيقول مثلا: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**[1]. وهو في الوقت نفسه يمقت أولئك الذين يقولون ما لا يفعلون فيقول: **﴿ياايها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون، كبر مقتا عند الله ان تقولوا مالا تفعلون﴾**[2].

---

١ سورة التوبة. الآية: ١٠٥

٢ سورة الصف. الآية: ٢ ـ ٣.

وقريب منه قوله ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[1]، ولعل كتب التاريخ والأدب العربي وما جاء فيها منسوبا الى المسلمين في ايام لهوهم واعراضهم عن جوهر كتابهم وما قصته علينا شعرا ونثرا من الوان الظلم والعسف والمنكر والفجور والتميع والتفسخ والاستهتار بالدين ومن الوان البغي والطغيان والانحراف والاعتداء والتقاتل والتناحر تكفينا الحجة على ما نقول.

فاذا كان وعد الله سبحانه وتعالى الذي جاء به القرآن ـ وهو وعد الحق ـ جاء مبشرا بالنصر لمن ينصر الله ﴿يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾[2]، وجاء واعدا بالاستخلاف للموحدين الصادقين العابدين الخاشعين لله ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون﴾[3]، واذا كان وعيده وعيدا بالخيبة وسوء المنقلب منذرا بالهزيمة وموعدا بالدمار والفناء والخيبة للظالمين المنحرفين مصداقا لقوله تعالى: ﴿وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ان أخذه اليم شديد﴾[4]، ولقوله سبحانه: ﴿وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون﴾[5] ولقوله ايضا: ﴿ياأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾[6]. اذا كان وعد الله

---

١ ـ سورة البقرة. الآية: ٤٣.
٢ سورة محمد. الآية: ٧.
٣ ـ سورة النور. الآية: ٥٥.
٤ ـ سورة هود. الآية: ١٠٢
٥ ـ سورة هود. الآية: ١١٧
٦ سورة المائدة. الآية: ٥٤.

ووعيده كذلك فان الاحوال التي تمر بها الأمة المنسوبة الى الاسلام منذ اخذ اهلوها بالإعراض عن الدين والقرآن وحفظه الى ما نحن فيه مما لانحسد عليه، ناطقة بصدقها وكاشفة عن مدى ربط الأسباب بالمسببات حسب سنة الله تعالى وحسب حكمته وارادته، وصارفة هذا المجتمع عن مراتب العزة والسيادة. وذلك لانصرافهم عن الاسلام وفهم حقيقته وماهيته، ولهذا لم نصادف في تحركاتنا على جميع الأصعدة ـ في الحرب وغير الحرب ـ نصراً ولا كرامة ولا فلاحا. وكيف يكون خلاف ذلك وقد افتقدنا الثقة في النفس والوثوق في الله وازددنا مقابل ذلك تعلقا بالاعداء تعلق الرضيع بثدي امه نعيش في دوامة نبحث عن التخلص مما نحن فيه ولا مجير والغريب في الامر اننا كلما ازددنا ابتلاء ازددنا انغماسا في الحمأة. فنحن ـ والحالة هذه ـ ما زلنا في تحسسنا لطريق النجاة لا نثوب لرشدنا ولا نرجع لذاتنا نصلحها بهداية القرآن العظيم والسنة النبوية الشريفة على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم بل ونتغافل عن الداء ونبتعد عن الدواء ونزداد ارتماء في احضان الاعداء تعلقا بهم واستنصارا بهم على انفسنا وعلى اخواننا. ففي الماضي كان الاعتماد على الاسبان والبرتغال واضرابهما، وفي الحاضر جاء دور المعسكرين الشرقي والغربي من امثال امريكا وبريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفياتي.

فها هي الأيام اكدت انه بقدر انتمائنا وارتمائنا في احضان هؤلاء بقدر ابتعادنا عن ذاتنا وطبيعتنا وملتنا. انهم يمدوننا ـ بسخاء مفرط ـ بالاسلحة الفتاكة ويشعلونها فتنة عمياء تأتي على الاخضر واليابس، ويوقعون بيننا واخوتنا العداوة والبغضاء، ولكنهم يشحون علينا في ساعة العسرة بالدواء لأمراضنا وبالغذاء لمجاعتنا وبالمأوى للمشردين منا ويحرضوننا على التقليد والتسليم بأقوالهم والتسبيح بمجدهم والرفض لما عدا ذلك: كما يحقرون في اعيننا ديننا واحكامه ومنهجه في الحياة، وينفروننا من قومنا وأحوالنا وقيمنا ومن لغتنا والرجوع الى علومنا الاسلامية فقها وعملا ويشجعوننا على الاستسلام لشهواتنا حتى اتخذنا إلٰهنا هوانا، وتمكن منا الخوف من الناس

والخشية منهم والطاعة للمخلوق والاحتكام لأحكامه وعدم الخشية من الله والاقامة على معاصيه كما اتينا في نادينا المنكر واقمنا عليه وأمرنا به، وتجنبنا المعروف ونهينا عنه، وتجاهلنا القرآن وآياته، واعرضنا عن حفظه والعمل به، وابتعدنا عن السنة والاقتداء بصاحبها عليه الصلاة والسلام ولم ينفعنا وعد ولا وعيد ولا ترغيب ولا ترهيب.

كل امرنا هو الاستغاثة بأعدائنا محتمين بهم مستحضرين لعظمتهم ومهابتهم، مستبعدين خالق السماوات والارض متجاهلين حضوره وانه اقرب الينا من حبل الوريد وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليهم حفظة ولو كنا بحق مسلمين ومؤمنين لما وضعنا اصابعنا في آذاننا، ولاعتبرنا بالأمم الذين قص الله علينا قصصهم قال تعالى: **﴿واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا﴾**[1].

وقال ايضا: **﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون. فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا. ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون﴾**[2]. أفبعد هذا ننتظر من الله عونا أو نصرا أو استجابة دعاء! قال تعالى: **﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾**[3] وقال ﷺ: ان الله طيب لا يقبل الا طيبا، وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين. فقال تعالى: **﴿يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾**وقال تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾**[4] ثم ذكر الرجل يطيل السفر

---

١ سورة الاسراء. الآية: ١٦

٢ - سورة فصلت. الآيتان: ١٥ - ١٦

٣ - سورة محمد. الأية: ٣٨.

٤ - سورة طه الآية: ٨١.

اشعث اغبر يمد يده الى السماء: يارب! يارب! ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له. وقال جل من قائل ﴿ان الله يدافع عن الذين آمنوا ان الله لا يحب كل خوان كفور﴾[1].

لقد مرت بالعالم الاسلامي قرون من الانحطاط والتخلف والضياع وكلما امتد به الزمن ازداد ايغالا في الجهل والجهالة، وكان طوال هذه الفترة يحاول ان يصحو فقامت في كافة انحاء البلاد الاسلامية حركات اصلاحية تدعو الى العودة الى الدين وعلومه واللغة العربية والى الجهاد في سبيل الله للانعتاق والتحرر واعادة البناء الاسلامي ولكن هذه الحركات سرعان ما تلقى مقاومة عنيفة وجابهتها القوى المعادية بمكرها وطرقها وقاومتها بألوان من المقاومة فخططت لهاواجهضتهاواتخذت لذلك سبيلين اثنين كلما اوغلت في احدهما واعياها السير فيها تحولت الى الثانية فكان سبيلها الأول ان تستعمل القوة والكبت والاضطهاد وكانت سبيلها الثانية ان تراوغ وتصنع من الحق باطلا وذلك مثلا باقامة المدارس على منهج معين مدروس وضعته خصيصا لغسل الأدمغة ووفرت له كل ما لديها من المغريات من ناحية وبارسال الارساليات الى الغرب للانصراف بشبابنا الى حياة الغرب ولهو الغرب والى فكر الغرب وبحوث الغرب التي صاغها لنا المستشرقون باشراف الكنيسة والاستعمار العالمي وافلحت بكلا المسلكين في خلق شباب يزداد عدده يوما بعد يوم قد حرم الثقافة الاسلامية ونفر منها واشرب روح الغرب وهام بها فتبناها وراح يدافع عنها ويمكنها في النفوس ويتبنى محاربة المدرسة الاسلامية بطريقة او بأخرى رغما عن كل هذا المجهود وكل هذه الدسائس كانت هذه الحركات تلقى من الشعوب الاسلامية حرارة وتعلقا وحماسا وتعاطفا والتحاما فتخطو خطوات عملاقة في العمل الاسلامي حتى اذا قاربت اجتياز العوائق والموانع واصبحت قاب قوسين من الفوز بدينها

---

١ سورة الحج. الآية: ٣٨

وبالعودة الى الحكم في ظل التشريع الاسلامي والفكر الاسلامي واعتماد الكتاب والسنة وادرك الاعداء ان الأمر أخذ يفلت من أيديهم، تحركت يد البغي والاستكبار تضرب ضربتها متوارية خلف الكثير من الستائر والاتراس وراء العديد من الاباطيل والترهات معتمدة في ذلك على مخطط خطير وعجيب، قوامه زرع عدم الثقة بالنفس وزرع الخوف في المسلمين بعضهم من بعض، وتمكين التفرقة والبغضاء من قلوب الاشقاء وتشكيك البعض بالبعض واشعال نار الفتنة فيما بينهم مع مواصلة العمل التربوي التثقيفي الهدام القائم على افراغ القلوب والعقول من ادراك مفاهيم الاسلام وتعاليمه لتقف به عند المظاهر والظواهر تخليطا وتشويها وتجهيلا.

وما ان استقام عود الحركات التحريرية حتى غاب عن اذهان الكثير من الشباب الذي قدر له ان يتعلم في المدارس العلمانية التي اقامها الاستعمار مكرا وخديعة مفهوم الاسلام الصحيح ورسالته في الحياة، وقد اشتبه الأمر لديهم بين دين الكنيسة ودين المسجد والمعهد والسياسة والقضاء ولم يبق المفهوم الصحيح قائما مع شيء من الغبش والضباب، الا في عقول طائفة ضيقة من الشباب كتب لها الاحتكاك بالدين في المعاهد الدينية تساعدها المطالعات الاسلامية والاتصالات باصحاب الحركات الاسلامية الاصلاحية فانتصبت قوى الاستكبار والحقد لمقاومة هذه الفئة الأخيرة من الشباب بالكيد والدس والاستنقاص بالباطل والرمي بالجمود والنقائص واقامة الحواجز في وجهها واظهارها في مظهر من الحرمان وفي وضع اجتماعي لا يرغب فيه الكثير من الناس، وباشعال نار الحقد والبغضاء والفتنة بين هذه الطائفة الأخيرة وبقية افراد الأمة من المجتمع الاسلامي.

ولقد ساعد على انجاح هذه الحملة الماكرة ماكان من بعض العلماء المحمولين على الدين من مواقف شائنة، يندى لها الجبين، وذلك بمخالفة افعالهم لأقوالهم وتسفيه جوارحهم لألسنتهم، كما تقلد البعض منهم مناصب قضائية فلم تحمد فيها سيرته، فعرف فيها بالظلم والارتشاء وسوء

السلوك وانزوى البعض الآخر عن المجتمع وانشغل عن الناس بخويصة نفسه وترفع عنهم فلا يعنية من امرهم شيء اللهم الا ان يرى في حياة مترفة وبذخ مادي ومتاع وانحراف، وان يخرج على قومه في زينته ويطلع بفاخر المركب ورفيع الملبس وشامخ القصر وشهي المأكل فأصبح العلماء جميعهم في نظر الناس وبما فعل السفهاء منهم رمية المغامز المغرضه، ولاكت الألسن اعراض الجميع ما صلح منهم وما فسد وزحزح علماء الدين عن مراكز التقدم والاقتداء ولم يبق لهم احترام ولا تأثير على العامة ولا على الخاصة، ولم تحفظ لهم هيبة ولا وقار يتندر بهم القوم ويتفكهون وتتلهى بهم المجالس ويتغامزون.

اما غير العلماء من المثقفين المتغربين من غير المثقفين فقد جمع بينهم الجهل بالدين وطبيعته وماهيته خصوصاً وفيهم من تغربت عقولهم وتغبشت رؤيتهم واختلطت عليهم الافهام وساعدهم على تنقصهم للدين ما تسرب اليهم من الغرب من فصل الدين عن الدولة وعن واقع الحياة حتى رأوا فيه معوقا يعوق الأمة عن التقدم والانطلاق فاغرتهم الدوائر الاستعمارية والصليبيون عموما ومن لف لفهم بالدين واهله فاخذوا يحاربون النشء الذي تربى التربية الدينية ونهل من حياض العلوم الاسلامية وهو يخطو نحو استلام مشعل الهداية والعودة الى الدين وفرض تعاليمه على المجتمع والدولة وتغيير المنكر والعودة بالمسلمين الى حياة الصالحين والمخلصين، وهم يعتقدون انهم يحسنون صنعا بانفسهم وبالناس جميعا حاربوه وحاربوا مؤسساته العلمية ومعاهده التربوية واخذوا يقطعون الأمة اشلاء ويمزقونها اربا، ويقضون على اللباب ويبقون على المظاهر كل ذلك لنزداد ابتعادا عن ديننا واخلاقنا وليفصل حاضرنا عن ماضينا ونكون به من الجاهلين فيستريح الأعداء من صحوة الاسلام والمسلمين.

ومن اجل ذلك وجب تكريس الجهود لاعادة وصل ما انفصم. كما وجبت العودة الى الاسلام لفهم حقيقته والتفقه فيه واحياء علومه والتعرف

الى ماهيته واهدافه والى الساحة التي يعمل فيها والى المجال الذي يرتبط به ويؤثر فيه حتى لا يبقى في اذهاننا ولا يستبد بها الاعتقاد والاقتناع بكونه دينا لا يتجاوز اعتاب المساجد مقصورا عليها ولا يتعداها في وهم بأنه دين طقوس وعبادات بعيدا كل البعد عن واقع الحياة ومرافقها من المعاملات والتشريعات والحكم والتنظيم والدعوة اليه والجهاد في سبيل حفظه وانتشاره وسيادته وبسط سلطانه ونشر نوره على العالمين وسياسة مجتمعه وتنفيذ أحكامه وتمكين هدايته من الغلو، وحتى يسود العدل والأمن والرخاء ويفك اسر المستضعفين ويتحرر الناس من الأهواء والنزوات ويرتاح البشر من التحكم والقهر والعبودية والاستغلال ، وحتى تتخلص العقول والمدارك والارادات من التبعية المقيتة والاعجاب بالغير.

هذه هي الحالة التي عليها المسلمون منذ ابتلائهم ومحنتهم. وهذه هي حالة اعدائهم معهم انه صراع مستمر واقتناص دائب، وعداء لا يفتر، وحقد وبغضاء قال تعالى: **﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾**[1] وقال سبحانه: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾**[2] فكان واجبا على الطليعة المسلمة ومن ضمنها العلماء الذين هم ورثة الانبياء، ومن ضمنها ايضا الحكام الذين هم الأمناء على هذه الأمة ان يتشاوروا ويتعاونوا فيجمعون امرهم ويبذلون جهدهم ويجتهدون في رأيهم ويتدبرون احوالهم ويخططون انشطتهم واعمالهم ويتابعون تخطيطهم فيتحركون وينفذون ما اجمعوا عليه وقرروه واقروه ويجتنبون الهوامش ويلتزمون بما يعملون، ويقوّمون سلوكهم ويستقيمون في حياتهم حتى يحصلوا على ثقة الله ورضاه ويسترجعوا ثقة الناس فيهم فتعود الأمانة اليهم وتنفذ كلمتهم ويطاع أمرهم ونهيهم وتنساق الأمة وراءهم متماسكين متضامنين يسيرون سيرهم وينتهجون منهجهم، وذلك لأن الناس على دين ملوكهم ولأن الناس تبع لعلمائهم وحكامهم.

---

١ - سورة آل عمران. الآية: ١١٨

٢ - سورة البقرة. الآية: ١٢٠

قال ﷺ : صنفان من امتي اذا اصلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد الناس: الأمراء والفقهاء[1]

ولعله من المفيد جدا ومن الضروري الحتمي ان يرجعوا الحياة لتجمعات المسلمين وان يتخذوها مناسبات لمعالجة شئون المسلمين والنصح لهم في دينهم ودنياهم فيشركونهم ويبادلونهم الرأي ويقدمون الحلول لقضاياهم ويتناصحون فيما بينهم عملا بما أوجبته اشارة الرسول عليه السلام التي وردت في قوله ﷺ: الدين النصيحة. قلنا لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وكان واجبا ايضا ان يقوموا حراسا على الدين وحرمته وكتابه وسنته فيذكرون بالقرآن والسنة يحرضون أنفسهم ويحرضون الناس معهم على حفظها والعمل بها والذب عليها، وان لا يبخلوا على الناس بما عندهم من معرفة وسداد رأي وان يعيشوا مع احداث قومهم واحداث العالم. ومن الواجب ايضا ان لا يقتصروا على تلك التجمعات الدينية فحسب وان كانت هي عامة لجميع طبقات الناس بل يضيفون الى ذلك عقد المؤتمرات والندوات واقامة الملتقيات للاستفادة من الخبرات وللتعاون والتواصي بالحق والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتنظيم الجهاد في سبيل الله وتربية المسلمين على ما فيه خير الفرد والجماعة.
ومهما يكن من الامر فان هناك قضايا رئيسية بين يدي الدعوة الاسلامية والعمل لاعلاء كلمة الله لا بد من حل معضلاتها، وامور اساسية هي من الأمهات في التحرك الاسلامي لرفع شأن المسلمين ولابد من التعجيل بها نذكر منها مايلي:
أولا: يلزم البدء اولا بالذات بتخليص برامج تعليمنا من الوصاية والتوجيه الخارجي ومن التبعية والاعتماد على توجيهات الغير وتجاربه والاتكال عليها وتقبل ما يقدم الينا منه على انه الحق لا ريب فيه ولا محيد عنه، وبجعل تعليمنا تعليما اسلاميا موجهامرتبطا ارتباطا وثيقا بالاسلام روحا ومادة ولحما ودما.

---

١ ابن عبدالبر وأبو نعيم من حديث ابن عباس.

ثانيا: كما يتحتم علينا الإعتناء بلغة القرآن اعتناء يجعلها العمود الفقري في حياتنا بجميع شعبها ومرافقها مع اضعاف شأن اللغات الأجنبية والاعتزاز بها والتباهي باتقانها الا بقدر الحاجة الماسة لها، ومع محاربة التباهي باهمال اللغة العربية والافتخار بجهلها وتجاهلها في المجالات العلمية والفكرية والادارية وشئون الحياة كما هو الحال عند بعض الخاصة وبعض الأوساط التي تشعر بالمكانة الخاصة بموجب ما حباها الله به من مال وجاه وتفتح ذلك لأن اللغة العربية تمثل شخصيتنا وتمثل القناة الوحيدة لبلوغ القرآن الينا وفهمه والتعرف الى معانيه ومقاصده وما لا يتم الواجب الا به فهو واجب، مع العلم بان اللغة العربية ليست حكرا على احد ولا ملكا لقوم معينين، وانما هي لغة الأمة الاسلامية سواء كانت الأمة العربية أو غيرها من الأمم.

ثالثا: كما يجب على كل مسلم التفقه في الدين وحفظ القرآن ومدارسته واتقان معرفة السنة والسيرة، واستيعاب ذلك في جميع مراحل التعليم بكافة شعبه ابتداء من المرحلة الأولى الى آخر مرحلة من المراحل العليا للتعليم جنبا الى جنب مع مواد التخصص لكل شعبة من مختلف شعب المعرفة لا تستثني شعبة من الشعب، ما دمنا لا نحفظ القرآن ولا نفهمه وما دمنا نجهل الكتاب والسنة والسيرة ومادمنا لا نعلم من ديننا الا القليل من العبادات مع ما في ذلك من التجوز، وما دمنا نعتمد على الغير حتى في معرفة ذاتنا وتاريخنا وتربية ابنائنا وابلاغ المعرفة لشبابنا، وما دمنا ندعو الناس ونحثهم ونحث حتى المربين منهم على اقتفاء أثر الغير ونتبنى مناهجه وطرقه وآراءه، وما دمنا نحارب انفسنا بمحاربة ديننا ولغته عن وعي وعن غير وعي، ما دمنا نفعل ذلك فانه لا يكتب لنا الفوز والفلاح بل ولا نعد من الأحياء ولا يرجى لنا خير ولا نصر ولا ينتظر منا هدى ولا رقي ولا يقام لنا اي اعتبار

رابعا: كما تلزم العناية بالثقافة والمعرفة والعلم على منهج اسلامي بعيد عن التفسخ والتميع والانحراف. وذلك بتحريض النشء والزامه على الاقبال

على كافة فروع المعرفة والتخصص فيها علاوة على التشبع بالعلوم الاسلامية خصوصا منها الكتاب والسنة، مع ملاحظة الالحاح المتزايد على العناية بأمرين اثنين لا يقبل بحال الجهل بهما وتجاهل شأنهما وهما: جغرافية جميع البلاد الاسلامية، وثانيها العالم الاسلامي بجميع مراحله ابتداء من الجاهلية واستمراره مع ركب الحياة.

أما بالنسبة لجغرافية البلاد الاسلامية فلكي يتعرف المسلمون الى بلادهم وطاقاتهم وامكانياتها وثرواتها فنمسك الأمور بأيدينا ويقع التكامل بيننا ونستغل خيراتنا بأنفسنا فيرجع جميع مردودها للأمة الاسلامية كافة لا لغيرها من الناس، ولتبقى الطاقة البشرية المسلمة تعمل حرة لا مملوكة، وسيدة مصونة الكرامة والذات، مهابة غير مهانة ولا كسيرة الجناح

وليس المقام بالذي يسمح بتعداد مكاسب المسلمين من معرفتهم لجغرافية بلدانهم الطبيعية والبشرية والاقتصادية وما لها من امكانيات وخيرات.

وأما بالنسبة للتركيز على تاريخ المسلمين ووجوب الوقوف على المحاسن والعورات والهزات والانتكاسات والتقلبات، فذلك لأن التاريخ في الحقيقة سجل الأمة والمجتمع، ففيه من الأحداث ماحدث فيما بين المسلمين أنفسهم. وفيه ايضا مما هو من الأحداث التي تكشف عن معاملة المسلمين لغيرهم وغير المسلمين للمسلمين وما في ذلك من تسلط وقهر وابادة. وذلك حتى يقف المسلمون على الحبيب والعدو وعلى ما كان منهم مع انفسهم او مع الآخرين وعلى ماكان من أعدائهم ازاءهم من حروب وتنكيل وتقتيل ووحشية وتحرش بالمسلمين واذكاء لنار الفتنة بينهم وفي كل ذلك كشف عما في النفوس عموما من قيم واخلاق ومبادىء. فيتعرف الأبناء الى ماكان يصدر من آبائهم المسلمين من قبل من كريم الفعال وحسن المعاملة وما يتمتعون به من انسانية وعلو نفس واستقامة سلوك بوحي من مبادئهم واخلاقهم واسلامهم. وكيف زالت نعمتهم لما مالت بهم اهواؤهم

وانصرفوا الى دنياهم. ويوازنون بين ذلك وما لغير المسلمين من تصرف وتحكم ومن مواقف تعبر عادة عن الجانب الأخلاقي والحضري والانساني في اصحابها كما يقفون على العداوة الدفينة من الكفار والنصارى واليهود التي يكنونها الى المسلمين التي عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر﴾[1].

ثم تتضح لهم الأسباب التي آلت بالمسلمين الى ماوصلوا اليه من ذل وصغار وذلك لاستخلاص العبر التاريخية من جهة وللتمكن من اتخاذ طريقة للاصلاح تتجنب هفوات الآباء والأجداد فينقذون حاضرهم على ضوء احداث ماضيهم من جهة اخرى.

هذا ولا ننسى ان ننبه الى حتمية مراجعة كل ما كتب عن المسلمين واعادة النظر والتأمل فيه ونقده وابعاد طابع الاستشراق عنه وتمييز الغث فيه من السمين ثم اعادة التأليف من جديد بروح نزيهة يحدوها تقصي الحقائق وتمييز الزائف من الجيد وفضح التشويه المتعمد المدروس في الكتب التي اعدتها الأقلام الرخيصة المريضة، المتعلقة بالعداء للاسلام والمسلمين، والمدفوعة بدافع صليبي مليء حقدا وعمى، وكذلك ابراز غش اعدائنا لنا وغش المؤلفين والمؤرخين المتحاملين منا بدافع سياسي او ظرف خسيس كما هو الحال في الحديث عن الفرقة الاسلامية من طرف بعض المتعصبين وفي التحدث عن بعض الأحداث السياسية والاجتماعية من طرف المأجورين والمتحزبين والطائفين، علماً بأن المؤرخين صنفان: صنف يكتب للتاريخ. وصنف يكتب للأهواء والقصور وفرق بين هذا وذاك.

فتأتي البحوث الجديدة الأمينة المخلصة للحق لتكشف عن عورات المغالطين غير النزهاء والخائنين للأمانة العلمية مهما كانت نزعتهم وانتسابهم. نكرس جهودنا هذه للانتاج الرفيع الذي يكلفنا من المجهود والمراجعة والتنقية الشيء الكثير اذا ما اردنا بحق المعالجة الجدية واستئصال الداء، واذا ما عزمنا على انتخاب الأصلح وعلى صنع جيل مسلم ومؤمن

---

١ ـ سورة آل عمران. الآية: ١١٨

مستقيم بعيد عن مناطق النفوذ وغير متأثر بنزعة من النزعات ولا بعامل زيغ وانحراف.

خامسا: ومن الواجب ايضا الحرص على تنشئة نشء مؤمن عالم بدينه عارف به معرفة صحيحة تتجاوز الشكل والمظهر الى المضمون والمقصد حيث يتمكن من روح الاسلام ويلتحم به وتجري اخلاقه ومبادئه وفروضه في دمه وعلى جوارحه فيحيا بها ويتحمس لها ويدعو اليها ويتجند في جند الله حاملا النور والهداية الى الناس، مقتديا بالرسول ﷺ وبالرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم. وبذلك ينسلخ المجتمع كله بجميع فئاته وطبقاته بما يحييه ويساعده على ادراك ذاته والتحمس لكيانه فيصبح قادرا على العطاء، وغير مفتقر لمن يرشده ولا عالة على احد يهديه سواء السبيل ولا محتاج في تحركه لمن يمده بالمعرفة ويزوده بها علما بان فاقد الشيء لا يعطيه وان الضال لا يهدي السبيل.

ولعل الجهل بما ذكرنا مع التصور الخاطئ لمفهوم الدين الاسلامي هو الذي حدا بالبعض من ابناء امتنا الى الوقوف وقفة مخجلة في دعوته للناس الى قصر الدين على المساجد لا يتجاوز اعتابها الى ما سواها، ولا يتعدى الطقوس التي تقام فيها الى المرافق الاخرى للحياة سياسة وادارة وتوجيها واحتكاما.

ولولا جهله بأمر دينه وكتابه ما تجرأ هذا التجرؤ، وما صدر منه مثل هذا القول وهذه الدعوة. والآيات كثيرة تكشف عن هوية الدين الاسلامي ورسالته في الحياة. وحياة الرسول نفسها خير شاهد على ان هذا الدين دين الفرد والمجتمع والدولة **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[1].

أفهلا يكون بعد هذا التصور وهذا المنطق وهذا الادعاء ان نبدأ معالجة القضايا الاسلامية من هنا حتى نقترب من الجدوى والنجاعة في خدمة الامة الاسلامية؟

---

١ سورة المائدة. الآية: ٤٤.

وهذه واحدة من عديد القضايا تقوم دليلا على وجوب التفكير في تهيئة الأفراد واعدادهم للعودة الى الاسلام قبل كل شيء حتى لا نقع في الخطأ ولا نخبط خبط العشواء، ونحن نحسب اننا نحسن صنعا عندما نتجاهل العناية بتكوين الفرد الصالح وننصرف واهمين الى تكوين المجتمع الصالح. والمجتمع الصالح لا يقوم على أفراد ينقصهم الصلاح. وما دمنا لا نعود الى الاصلاح الجذري ولا نقتدي بسنة الرسول ﷺ في دعوته وما دمنا نتغافل على الداء وعلاج العضو الفاسد ما دام المريض مريضا وما دمنا نحن في اماكننا لا نفعل شيئا ولا نجني ثمارا ﴿والعاقبة للمتقين﴾[1].

سادسا: كما يجب التحول بالدعوة الى الاسلام من المنابر والاقوال والقرارات الى ميادين العمل والورع ومرافق الحياة والافعال. وذلك باحياء سنة الجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله وبدفع الناس الى سبيل الحق ونصرته وتمكينه في الأرض وبمقاومة الباطل وردع الطغيان وباكتساح البيوت وتوعية من فيها واصلاحه وبالاتصال بالمستضعفين وتعليمهم دينهم والدفاع عنهم وصيانة حقوقهم واموالهم وبمساعدتهم وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ودفعهم الى التسابق على فعل الخير فيؤلفون فيما بينهم مجتمعا تقيا نقيا قنوعا حسن الاخلاق فاضلا

وكذلك بندب العلماء العاملين التقاة النزهاء الذين عرفوا في ماضيهم بأهلية الامامة والتصدر والجهاد والقيادة والتوجيه والارشاد من الذين يخافون الله ولا يعصون والذين لا يعبدون اهواءهم ومطامعهم ولا ينساقون وراء شهواتهم ونزواتهم ولا يعرف عنهم زيغ ولا انحراف ولا يخشون الا الله. فاذا انتدب لهذا العمل غير هؤلاء فذلك اقوى الحجج واكبر الادلة على فساد القيادة وعدم الجدية في خدمة الاسلام والمسلمين.

من اجل ذلك كان لزاما على حملة هذه الرسالة ان يكونوا ممن يعملون بما يقولون ويطبقونه في جميع احوالهم بالتلبس والسلوك ولا يكونون ممن عنوا بهذا الاستفهام الانكاري التوبيخي الوارد في قوله تعالى: ﴿أتأمرون الناس

---

١ ـ سورة القصص. الآية: ٨٣.

بالبر وتنسون انفسكم﴾[1] وان يجاهدوا لسيادة شرع الله مع محاربة الانحراف والفساد في الأرض ومع الايمان بالله وبالعمل الصالح والاحتكام الى الله ورسوله وتجنب الموبقات وبالسعي وراء مرضاة الله ومقاومة البغي والفسوق والظلم والطغيان والعدوان وبالوقوف بجانب الحق والثقة في الله والاخلاص له والتعلق به

سابعا: ومن الواجب ايضا احياء وتنشيط رسالة المساجد قال تعالى: **﴿ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾**[2]. وقال سبحانه: **﴿وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾**[3]

ذلك ان للمسجد في الاسلام دورا هاما. ففيه تقام الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة العيدين، وقد اتخذه النبي ﷺ مقرا لتعليم الصحابة دينهم والفصل في قضاياهم والاجتماع بالوافدين عليه، ولتبليغ الرسالة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيما كان يلقيه عليه الصلاة والسلام من تشريع وتقرير أو انكار من على المنبر المبني في مسجده في العديد من المناسبات اذا ما جدّ جديد، فتعمير المسجد مما اكد عليه النبي ﷺ.

ونحن اذا ما القينا نظرة خاطفة راجعنا فيها تاريخ المسلمين وجدنا انهم قد اتخذوا المسجد للفصل في الاقضية وفتوى الناس، وللوعظ والارشاد، وللتعليم بمختلف شعبه

ولعله من المفيد الآ ننسى ما للزيتونة والقرويين والأزهر من فضل على استمرار احكام الصلة بين الاسلام والمسلمين من جهة، ومن فضل المحافظة على العلوم الشرعية وما يتصل بها من الفنون المختلفة من جهة اخرى.

---

١ سورة البقرة. الآية: ٤٤.

٢- سورة البقرة. الآية: ١١٣

٣- سورة الجن. الآية: ١٨

كما ساهمت في الابقاء على شعلة الايمان قوية تزكيها حركة نشيطة نابعة من التفرغ الكامل لخدمة العلم المخصص فيه والبحث في مجالاته، ومن الحرية المطلقة في سير التعليم منهجا وطريقة والقاء وتطويرا. ولعلي اذكر ولا انسى تلك المحاولة المتكررة من ممثلي الحكومة الفرنسية ايام حمايتها لتونس لايجاد منفذ للاشراف على مجرى الحياة العلمية داخل جامع الزيتونة من قريب أو من بعيد ولو بالحضور والمشاهدة من خلال كوة يضعونها تطل على التحرك والنشاط داخله فابى رجالها رغم الكثير من الاغراء ورفضت النظارة العلمية هذا المقترح وثارت ثائرة العلماء والطلبة حتى اضطرت الحكومة الفرنسية الى سحب اقتراحها على لسان مقيمها العام[1]. وما ذلك الا لما اضفت تلك الحصانة وتلك الحرية على التعليم الزيتوني من هيبة ومناعة وقوة اكتسبها من ابتعاده عن الوصاية الخارجية والتدخل الاجنبي والتبعية الثقافية

ولعل هذا المعنى ندركه في المؤسسات القائمة اليوم خلفاً عن مؤسسات الأمس أو امتداد لها، رغم ان العلوم هي العلوم الا ان الروح غير الروح والمنهج غير المنهج والهدف غير الهدف.

واذا ما تعلل البعض في ابعاد التعليم عن المساجد بتحريض النبي ﷺ المسلمين على ان يجنبوا مساجدهم صبيانهم فلعله لما قد غاب عنه مما للفظة الصبيان من معنى، اذ لم يقل عليه السلام مثلا جنبوا مساجدكم حلقات دروسكم أو طلابها. فالظاهر انه قد بات اكيدا ـ للمناعة والجدوى ـ ان نعيد للمساجد سالف مجدها ونجعلهامقرا لتنظيم تعليم اسلامي مستقل بجميع مراحله قائم على اساس ينتهي بطلبته الى التخصص بالتعمق في العلوم الاسلامية ودراستها دراسة معمقة وهادفة على منهج يمكن الدارسين من بلوغ درجة عالية من العلم تؤهل صاحبها الى مرتبة الاجتهاد او تقاربه لا ان يتحلى بالالقاب والانتساب ـ بحيث انها تتحول الى ميدان تبحر ينتهي بصاحبه الى ان يكون مسلما متفهما علما وسلوكا وهمة.

---

١ ـ وهو الممثل للحكومة التونسية في عهد الحماية.

اما بالنسبة لحلقات الوعظ والارشاد والخطب المنبرية فواجب ان يترشح لها من قدمه علمه وتقواه وخوفه من الله وسلوكه وماضيه ونزاهته وشدته في الله وسعة تفكيره والقدرة على التفاعل مع الحياة غير هياب ولا وجل ولا متساهل في دينه ولا خاضع في علمه الا الى ما فرضه عليه ربه من معالجة قضايا المسلمين ومناقشة شئونهم واحوالهم للاصلاح ولمحاربة السعي في الارض فسادا، وبذلك تعطى للتجمعات الاسلامية مكانتها ويرد لها الاعتبار ويعيش المؤمنون اخوة في رخاء واستقامة وحرية وامن خاضعين لله وحده لا شريك له هيابين له فقط، خاشعين له دون سواه في مأمن من الطمع والشره.

هذا وان اصواتا ارتفعت تدعو الى قصر الدين على المساجد لا يتخطى اعتابها منقطعا عن الحياة ومنفصلا عن شئون المسلمين وعلاقتهم بالمشاكل اليومية داخل البلاد وخارجها. ولعلي لا اجدني مضطراً لبذل أدنى جهد للتدليل على بطلان هذا المدعى المتهافت تلقيا، وعلى خطأ الالتفات اليه واعارته ادنى اهتمام.

ونحن اذا ما حاولنا الاقتناع بسلامة نوايا هذه الاصوات وسلامة مبعثها والدوافع اليها فلا نستطيع الا ان نقتنع بان مرد هذا الباطل الى خلو عقول اصحابه من المعرفة بالاسلام وخلو قلوبهم من الايمان به والخشية من الله تبعا للجهل بالدين الاسلامي ومضمونه

هذا وما للعلماء والامراء من منزلة في الأمة، حتى ان النبي ﷺ ذكرهم فذكر ان صلاح الامة الاسلامية بصلاحهم وان فسادها بفسادهم، لذا كانت مسئوليتهم عظيمة ووزرهم أعظم.

اما العلماء فعليهم امانة التبليغ، وعليهم مسئولية الحرص على الدين وحماية المجتمع من الآفات لأنهم الصفوة والطليعة. فبهم يرتفع شأن الدين وتنشط الدعوة اليه وتسعد الأمة، وبهم أيضاً تسوء الأمة ويشقى المجتمع وتتعفن الأوضاع وعلى قدر صلاحهم تصلح الأفراد تبعا لهم لأنهم القدوة حماة الشريعة ورمز مبادئها واخلاقها لما لهم من واسع الاطلاع والتخصص واهلية التقوى والخوف من الله.

ومن هنا القي على عاتقهم احياء الدين والتلبس به عملا وسلوكا، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما وجب عليهم ان ينصحوا لله ولرسوله وللأئمة المسلمين وعامتهم. فلا يزينون للحكام ولا لغيرهم ما يفكرون بالقيام به او قاموا به مما هو مناف للدين وعليهم أن يقولوا كلمة الحق ولا يخشون فيها لومة لائم.

يقول الله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾[1] ويقول سبحانه: ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾[2] كما يقول الرسول ﷺ: العلم علمان: علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النافع[3] ويقول عليه الصلاة والسلام: أوحى الله سبحانه وتعالى الى بعض الانبياء: قل للذين يتفقهون لغير الدين ويتعلمون لغير العلم، ويطلبون الدنيا بعمل الآخرة، وقلوبهم كقلوب الذئاب، السنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، ايّاي يخدعون وبيّ يستهزئون؟ لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم حيران[4]، ويقول كذلك: مررت ليلة اسري بي باقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار، فقلت: من انتم؟ فقالوا: كنا نأمر بالخير ولا نأتيه، وننهى عن الشر ونأتيه[5]. ويقول: هلاك امتي عالم فاجر وعابد جاهل. وشر الشرار العلماء، وخير الخيار خيار العلماء[6].

واما الحكام الذين هم رعاة الأمة وحماتها والمدبرون لشؤونها والحارسون لأمنها واخلاقها ومجتمعها، والساهرون على حماها ومصيرها والذين يتولون امرها وبأيديهم عزها ورخاؤها فرسالتهم شاقة وموقعهم من

---

١ - سورة الزمر الآية ٩.
٢ - سورة فاطر الآية ٢٨
٣ - الترمذي في النوادر وابن عبدالبر والخطيب في التاريخ.
٤ - ابن عبد البر
٥ ابن حبان.
٦ الدارمي.

الأمة صعب وخطير.

فهم حراس الشريعة والمنفذون لحكم الله والقائمون عليه وعلى رعاية المجتمع، فكل ما يجري في البلاد خاضع لهم ومن انعكاساتهم. فهم مسؤولون على حفظ القرآن وضياعه، وهم المسؤولون على التهاون بالدين وصيانته فوجب عليهم التفقه في الدين وفرض التفقه ايضا على الرعية. وعليهم اخضاع جميع الدواليب الاجتماعية للعمل بشرع الله من محاكم ومؤسسات اقتصادية ومعرفية وتربوية، والاخذ بالاسلام في كافة مرافق الحياة لا الأخذ بالبعض وترك البعض حسب الظروف والأحوال وعليهم الاعتماد على الاسلام والابتعاد عن التقليد للاجانب في خلق وبعث المؤسسات الادارية وغير الادارية، وعدم الخضوع الى توجيه غير الاسلام من اعدائه سواء كانوا كفارا او منافقين، وعدم اتخاذهم اولياء فيتخذون بطانتهم من خيار العلماء قال تعالى: **﴿يا أيها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾**[1]. وقال سبحانه: **﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة. فان العزة لله جميعا﴾**[2]. وقال ايضا: **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾**[3].

وعليهم ايضا ان لا يلفقوا بين الواقع المزري والحضارة الزائفة، من جهة والإسلام وتشريعه بدعوى التسامح أو التقارب أو بدعوي مسايرة الواقع من جهة اخرى.

وعلى الحكام أيضاً فرض العلوم الاسلامية وجعل تعلمها اجبارياً على جميع الناس وفي مراتب التعليم كلها. وعليهم ان يحتكموا الى الله ورسوله في شأنهم وشأن غيرهم، وان يتخذوه مرجعهم ويعتمدوا في ارشادهم ومشورتهم على العلماء النزهاء الذين عرفوا بتاريخهم الطويل الناصع بالاستقامة والتقوى والصلاح والبعد عن حب الذات والجاه

---

١ سورة الممتحنة الآية ١

٢- سورة النساء الآية ١٣٩

٣- سورة التوبة الآية ٨١.

والحرص على المصالح الخاصة من اصحاب الذمم الرخيصة، وعلى العلماء الذين هم من اصحاب الهمم الاسلامية الذين تنزهت نفوسهم وارتقت اخلاقهم واعتصموا بالله وحبه وآمنوا به وبالبعث وعملوا بايمانهم واستقاموا واتخذوا من الرسول قدوتهم وابتعدوا عن النفاق، ونصحوا لله وللرسول ولعامة المؤمنين وخاصتهم ولا يخافون في الله لومة لائم، وليسوا من الذين يقولون ما لايفعلون وعلى الحكام ايضا ألا يجعلوا التحرك الاسلامي حكرا على البعض دون البعض، فالدعوة الى الله للجميع ومن الجميع فلا يمنعوا اهل الذكر من الدعوة الى الله والأمر والنهي حتى لا تضيع، وان لا يربطوا التحرك الاسلامي في فلك معين وبعجلة طائفة او دائرة غير دائرة المتفقهين في الدين والعاملين به و المخلصين له غير المتأثرين بالعوامل الاجتماعية أو السياسية او المصلحية وان ينتخبوا الى القيام بالامانة العلمية والتعليمية والتربوية والتثقيفية والتوجيهية العلماء الذين يصلحون الى ذلك وقد عرفوا بعلمهم ونزاهتهم واخلاقهم وماضيهم وبعدهم عن عبادة الهوى غير متهاونين ولا مفرطين فيما طالبهم به الله سبحانه وتعالى من واجبات نحو انفسهم ومجتمعهم وخالقهم سبحانه.

كما يجب عليهم خصوصا وعلى كافة المسلمين عموما الاعتقاد الفعلي الاقتناعي لا القولي الاخباري النظري بان العزة لله ولرسوله وللمؤمنين لا لغيرهم من البشر مهما كانت قوته ومنزلته ومهما كانت عظمته وجبروته. وذلك لا يتم الا بفهم معنى وحدانية الله وان لا شريك له سبحانه فهما قلبيا روحيا، وبفهم معنى عبوديته وعبادته وبخشيته والاخلاص له والامتثال اليه وتنفيذ احكامه واوامره واجتناب نواهيه والابتعاد عن معاصيه وأنّه لا ولاء الاّ اليه ولا اعتماد الاّ عليه ولا افتقار الاّ له سبحانه وتعالى. فهو وحده المعز دون سواه. وهو وحده القاهر المذل دون غيره عز وجل. وما الانسان وما الراعي لأمر من امور المسلمين او لخليّة او بنية من خلايا المجتمع الاسلامي الاّ أداة تنفيذ لمشيئته وارادته وقضائه وحكمه، وما هو أيضاً الاّ طريق لنشر دينه وبسط سلطانه فوجب الاخلاص لله والخشوع له والرهبة منه والشعور بالمسئولية امامه وحده. فهو الذي سيجازيه ان هو احسن، وهو الذي

سيحاسبه ان هو فرط، وذلك ابتداء من مسئولية عش الزوجية وانتهاء بمسئولية الحكم ورعاية المصالح الاسلامية حتى تكون سياسته واحكامه وتصرفاته في الشئون كلها على وفق ذلك الفهم والاقتناع.

كما ان ذلك لا يتم الا بالاعتزاز بالاسلام والانتساب اليه والعمل من اجله حماية ودعوة وجهادا وتضحية، وبالايمان برسالته والتحمس لها اعتبارا بان الجاهل بدينه وان عديم التحمس له، وان المعطل لشعائره وفاقد الحرارة للاسلام عنصر في طي العدم غير صالح للقيادة ولا لغيرها كالتوجيه والدفاع والذود عن الحياض، كما انه عنصر غير مأمون ولا منتظر منه ان يؤدي له ابسط الواجبات فضلا عن اقتحام عظائم الامور الملقاة على عاتق كل مسلم وعلى كاهل أولي الامر منهم بالخصوص.

وتبعا لهذا وجبت محاكمة كل من تثبت عليه تهمة النفاق والغش والكذب في نصحه لله ولرسوله ولعامة المسلمين وخاصتهم الذين من بينهم الحكام متملقاً لهم ومغالطاً ومادحاً ولو لمن هو اهل للمدح منهم عملاً بالأمر الوارد ان احثوا التراب في وجوه المداحين، غير ان النكير يشتد اذا ما كان الممدوح متساهلا في دينه والقيام على شرع الله، مضيعا لمصالح المسلمين وحقوقهم واموالهم ودمائهم كيفما كان هذا التضييع وهذا التساهل. واشد منه اذا كان المادح من علماء المسلمين الذين يشرون بآيات الله ثمنا قليلا والذين نعتهم الله بقوله: **﴿اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله﴾**[1]، والذين توعدهم المولى سبحانه بقوله: **﴿ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم. اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار﴾**[2].

بقي شيء لا بد من التركيز عليه والعودة اليه هو ان من المصالح الاسلامية الواجبة رعايتها حق تمكين المسلمين من القيام بواجباتهم التي

---

١ سورة التوبة. الآية: ٩.

٢ - سورة البقرة. الآية: ١٧٤ ١٧٥

اناطها الله بهم من حماية المجتمع الاسلامي والدفاع على حوزة الاسلام ومن السير في منهج الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم اقتداء بهم وتأسياً، ومن النهج على منوالهم في تحملهم الأمانة وفي القيام بالدعوة الاسلامية وخدمتها والتضحية في سبيلها ومناصرة اصحابها في تواضع لله واستجابة لداعيه مع الأمر بالمعروف والتشجيع عليه والنهي عن المنكر والمساعدة على تغييره والانتهاء عنه، ومن التناصح لوجه الله تعالى وقبول النصيحة الصادقة غير ما دخل ولا ريبة، ومن محاربة النفاق والبعد عن المنافقين قال تعالى: **﴿ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾**[1].

ثامناً: ومن الواجب كذلك تنشيط الحركات الاسلامية الخالصة لوجه الله تعالى والنصح لها ومساندتها ومحاربة أعدائها، مع العلم بان الحركات القائمة او الممكن قيامها منها ما هي حركات اسلامية ومنها ما هي حركات منسوبة الى الاسلام، كما ان هناك منظمات اسلامية وهناك منظمات منسوبة للاسلام. فالواجب اذن التمييز بينها ومقاومة الضغوط التي يمكن ان تتسلط عليها حتى لا تقحم في مدارات معينة تسخرها لخدمتها وتستفرغها من محتواها وتدسها دسا لتفرضها على الاسلام حملا ثقيلا ووباء قتالا كما يجب فضح كل التدخلات الاجنبية وفضح ربط النشاط الاسلامي بعجلة دولاب بعيد عن الاسلام في روحه ومبادئه وأهدافه

وليس عسيرا التعرف الى ما هو منسوب الى الاسلام ومحمول عليه من تلك الحركات والمنظمات، فمعيار ذلك سهل ويسير انه مرتبط بمدى التحامها بروح الاسلام ومبادئه وسيرها في خط الله مع التأكد من سلامة قادتها وأصحابها في دينهم، ومن نقاوة ماضيهم وحاضرهم، ومن مدى صلابتهم في الحق والعدل وتعلقهم بالله ورضاهم لرضاه وسخطهم لسخطه مع اشتهارهم بسلامة الاخلاق والسلوك، وبنظافة اليد ونزاهة المواقف ووضوح التحرك والأهداف، وبالبعد عن العيش في فلك الأنانية والاغراض الشخصية، سواء كانوا في الحكم او خارج الحكم لا يستغلون

---

١ ـ سورة الأنفال. الآية: ٢٤

الظروف ولا ينتهزون الفرص لخدمة مصالحهم، وليسوا ممن يعيشون لأنفسهم خاصة دون أمتهم ومجتمعاتهم، لم تعرف لهم عمالة لا للشرق ولا للغرب ولم يكونوا يوما من الأيام اعوانا لأعداء الاسلام والمجتمع على ابناء جلدتهم واخوانهم في الدين غير مقيمين وزنا لهذه الرابطة التي لا يعتمد سواها.

وليس خفيا ان الحركات الاسلامية في طبيعتها ونوعيتها ومجالاتها متعددة ومتنوعة فهي اما ان تكون تحريرية، وأما ان تكون قيادية تنظيمية تنفيذية بيدها السلطة ترعى المجتمع وتسوس شؤونه، واما ان تكون تربوية تثقيفية تكوينية تهدف الى التوعية والتعليم والتهذيب على منهج رباني اسلامي قانوني. ولكل منها أهداف ترسمها خطط ومناهج وتضعها لها أنشطة وقيادة وجهاز.

ولعلنا لا نخطىء القول حينما نلح على ان تبقى الحركات التحررية بعيدة عن الشوائب والمزالق والشبهات وان تكون نظيفة في قيادتها عقيدة وتدبيرا وسلوكا، اذ لا تعد حركة اسلامية من هذا النوع الا اذا كانت بعيدة عن التبعية باي معسكر ولا تدين بالولاء الى أحد لها ارتباط وثيق والتحام محكم ومتين بالاسلام من حيث التدبير والتحرك والاتجاه. وليست خاضعة ولا مرتبطة ولا متأثرة بأي نظام سياسي ولا بأية قوة خارجية أجنبية أو غير أجنبية، لا تدين ولا ترفع اي شعار الاَّ ان تكون مسلمة عقيدة وفكرا وحماسا واندفاعا، مؤمنة بان لا اله الا الله محمد رسول الله لا ولاء الا لله، ولا حكم الا لله، ولا رأي الا للمسلمين واهل الذكر منهم وليس لها أي سبب ولا ارتباط بما يدين به الناس من القوميات والوطنيات الضيقة انطلاقا من أن البلاد اما ان تكون دار اسلام او دار كفر لا ثالث لهما.

فلزم اذن التحرر من كل الشعارات والتكتلات والانتماءات الى الروابط البشرية المصطنعة من القومية والجنسية والوطنية والدم. وبطل كذلك الانتماء إلى المعسكرات والقوى الأجنبية كيفما كانت عظمتها. ولزم أيضا

اعتماد المسلمين على أنفسهم وعلى الله والتقوية لروح الايمان ﴿وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم﴾[1]

وضروري ان نقيم ضمن التحرك والتنظيم في العالم الاسلامي المتحرر مؤسسات رقابة على غرار المجالس النيابية في الدول المستقلة لحماية الأمة الاسلامية من كل تشريع وضعي وتسلط أجنبي او تأثير خارجي او انحراف داخلي تستمد كيانها ووجودها من الشعب وتستند في انشطتها واعمالها الى القرآن والسنة وتراقب مجرى الحياة وتنظمها على مقتضى الشريعة الاسلامية تكون لها صلاحيات لا تقل عن صلاحيات المجالس النيابية ان لم تتجاوزها، مع التأكيد على وجوب تجنبها مراكز الضغط والخضوع في أعمالها من أية مؤسسة في البلاد أو خارجها، مباشرة أو من وراء حجاب عظم شأنها ام لا، وتبقى الكلمة الأخيرة لها ويصدر الفعل منها.

ونعود الى الحركات الاسلامية التربوية التثقيفية في البلاد الاسلامية لنشير الى حتمية تكوين مدارس ومعاهد علمية تنظم الحياة الفكرية في المجتمع الاسلامي وتعالج شعب التخصص في الميادين الدراسية المختلفة، تتشرب شرابا معمقا من العلوم الاسلامية يتولى أمرها أناس عرفوا بتقواهم واستقامتهم وبعدهم عن المطامع وحب الذات. كما عرفوا بثقافتهم المركزة ومعرفتهم واطلاعهم الواسع على الفكر الاسلامي ودقائقه وتشريعه وروحه وبعد نظره وتميز منهجه. كما وجب ان يكونوا متحررين من كل الميولات والتبعية فلا يستمدون توجيهاتهم الا ممن نبغ منهم بموجب تمكنهم واطلاعهم على دينهم قرآنا وسنة وسيرة وتفقها وطمحوا دون تسلط ولا انتماء لأية جهة أو قوة او توجيه محلي او عالمي.

ومن المعلوم ان العمل الاسلامي عموما قائم على الدعوة الى الله وسيادة حكمه واعلاء كلمته واستخلافه في الارض لا على اساس تحرير الارض دون تحرير العقل والقلب والانسان. ومن هنا فلا اوطان بين

١ ـ سورة آل عمران: الآية ١٢٦

المسلمين وانما هو وطن واحد ولا جنسيات ولا قوميات ولا عروقا وانما هم مسلمون ووطنهم دار الاسلام ورابطتهم « الله أكبر ولله الحمد ». فوجب جمع كلمة المسلمين على الحق والعدل والنزاهة والمساواة وعلى خدمة الاسلام والمسلمين تحت راية واحدة وتنظيم واحد نحو هدف واحد فان الذي يربط بين المسلمين هو اقوى وامتن بكثير مما يربط بين الولايات المتحدة والجمهوريات المختلفة وقد تجمعها سلطة واحدة ومسيرة واحدة، وعلى هذا الأساس اصبحت مفروضة وحتمية اقامة الملتقيات والمؤتمرات والندوات في الوطن الاسلامي لمراجعة أحوال الأمة ولاتاحة الفرصة للقاء الطليعة الاسلامية واصحاب الهمم والقيادة حتى يقع النظر في شئون المسلمين وموقعهم من العالم والاحداث على اعتبار التناصح والتكامل لا على اعتبار الانتماء واملاء التوجيهات والفروض وتسليط الضغوط والهيمنة على العاملين والمسك بتلابيبهم واخضاعهم وفرض الوصاية عليهم وجبرهم على انتهاج منهجية التبعية والسير تحت الضغوط الاجنبية وحراب المعسكرات المعادية والقوى المتجبرة والمستكبرة والميل مع الهوى، فيتسنى بذلك وضع تخطيط تعاوني مشترك نتيجة ذلك التشاور والتحاور يشمل فيما شمل احياء التجمعات الاسلامية التي اقامها الاسلام مقرونة بالفروض والعبادات كتلك التي تقام ايام الجمعة والعيدين والحج عند اقامة الصلوات واداء المناسك

هذا وعلينا ان نستخلص العبرة من الماضي البعيد الذي استحضره القرآن الكريم فيما قصه علينا من قصص الأمم الغابرة وكذلك من الماضي القريب والحاضر المعاش مما اصاب التحرك الاسلامي والامة الاسلامية عند بداية صحوتها من تعثرات وتناقضات وصراعات بموجب المكائد التي وضعها الاستعمار العالمي والصليبية المعادية والصهيونية الماكرة من الخارج، وبموجب اختلاف الرؤيا الناشئة عن اختلاف العقليات المتولدة عن اختلاف درجات الجهل بالدين مع تخيل التفقه والتبحر فيه من الداخل.

فلقد قامت تجارب عديدة منها ما عشناه من خلال التاريخ. ومنها ما

عشناه ونعيشه ولعنا قد شاركنا في صنعه عن وعي او غير وعي، فقام الصراع فيما بيننا وانتعش التراشق بالكلام والتراشق بالنبال فسقطنا صرعى الهوى واستفاد الاعداء.

فهل يكفي ان ينقسم المسلمون على انفسهم يحارب بعضهم بعضا؟ ثم هل من مصلحة الاسلام والمسلمين هذه المجابهة وهذا العداء وهذا الاقتناع بتغرير المغرضين المستثمرين وبنصيحة الاعداء المخادعين الماكرين؟ اللهم ان هذا لبغي. وعلى الباغي تدور الدوائر لماذا لا نقول بشجاعة كلمة الحق ولو على انفسنا؟لماذانخشى في الله لومة اللائم؟ لماذ نرضي اعداءنا على حسابنا وقد جاهرونا بالعداء وكاشفونا بمساعدة الاعداء المغتصبين لبلادنا؟ لماذا لا نقول للمنحرف عن الاسلام: كف عن الغي او تنكب؟ لماذا هذه المجاملة للظلم والعدوان؟ لماذا هذا السكوت عن المنكر؟ قال صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس ان الله يقول لكم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل ان تدعوا فلا أجيب لكم، وتسألوني فلا اعطيكم وتستنصروني فلا أنصركم»[1]. لماذا ندعي أننا من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ثم نحيد عن منهجه وسبيله؟ لا اظن ان المستفيد من هذا التداعي والوهن والاستسلام إلى الهوى والشيطان غير اعدائنا الذين يجروننا جرّا الى الانشغال عنهم ولنتلهى ونترك لهم فرصة الاستغلال والغلبة والفوز بالمتاع وبالحياة في حين اننا نبدد طاقاتنا البشرية والفكرية والاقتصادية. فاذا كان هذا الذي انتهينا اليه لا يأتي بفائدة فلا أمن ولا استقرار ولا طمأنينة والكل في حذر وخوف:

ينام باحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

فلماذا اذا هذا العناد العنيف وهذا السقوط في هوى الشيطان وبين احضانه؟ نعم قد يكون لاعدائنا عذر فيما هم عليه لما لهم من فوز بالدنيا على الأقل فما بالنا نحن وعلينا تدور الدوائر؛ اذ لافوز لنا بالدنيا ولا فوز لنا في الآخرة؟ لماذا لا نتبنى النقد الذاتي ولا نصلح أمرنا ولا نعالج أدواءنا ولا

١ - ابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها.

نعود الى الاسلام الحقيقي وما فيه من تسامح ونكران للذات فيحيا بنا ونحيا به ونتخلى عن النصيحة المغشوشة وعن النصح المستورد والمأجور ممن هم الاعداء الحقيقيون لنا واصل الداء الذي ينخر اجسادنا ويمزق شملنا شر ممزق؟ لماذا لا نفتح اعيننا على مصدر كتبنا؟ اين هي الاندلس؟ واين هي فلسطين؟ ثم ماذا فعل بالمسلمين عند محنتهم هنا وهناك؟ واي ذنب اقترف او اية جريمة ارتكب حتى يستحق هذه التصفية؟ اليس كل جرمه أنه يدعو الى توحيد الله ونشر العدل والمساواة والاخوة بين البشر وتحرير رقابهم؟ ام هم المسلمون؟ واذن فما بال الأطفال والنساء والرضع والكهول ومن كان بعيدا عن ميادين الصراع منهم يعذبون ويقتلون ويشردون ويخرجون من ديارهم ويسلبون أموالهم الا ان يتخلوا عن دينهم؟ لعل المشكل كامن هنا ضمن البحث عن ارباب هذه التصفية وأصحاب هذا المنكر وما انطووا عليه من حقد على الاسلام وضغينة وفساد. لعل هذا المشكل الحقيقي يستحقّ أن تقام من أجله الندوات والملتقيات والمؤتمرات من أجل ذلك نرى ان تفتح الابواب على مصراعيها ليشارك في هذه التجمعات كل ذي اهلية ممن هو من الطليعة الاسلامية والعارفين بالاسلام المخلصين له؛ اذ لا اقل من تقريب وجهات النظر والوقوف على مختلف الخبرات.

ولابد من الانصات الى صوت الله والرجوع الى ظله ومن الاقلاع عن الغش والانانية

نحن في حاجة الى الرأي والمشورة والتخطيط والتنظيم والصدق والمثابرة والى امتداد الرؤية المتكاملة. ونحن في حاجة الى الاقتناع بان الشرق والغرب من ألد أعدائنا وأشدهم بنا ترابطا وعلينا قسوة وشراسة. انهم يحقدون علينا وهم يشعرون بان المسلمين يمثلون خطرا عظيما عليهم وعلى اغتصابهم لثروات الشعوب وخيراتهم، وعلى استكبارهم على المستضعفين. وهم يعتقدون بان نهضة المسلمين لا تدع لهم قدرة على التحكم في الرقاب كما تجعل حداً لمجاوزاتهم والاستمرار في ابتزازهم لطاقات الدول الضعيفة البشرية منها والاقتصادية والاجتماعية. وهم اذ يشعرون

بذلك يدركون ان الخطر ليس في جماهير المسلمين وانما هو في العناصر النشيطة منهم والطليعة المتحركة التى تمثل قوة تخطط وتقود وتوجه وتعمل، وهي قادرة على الأخذ بيد جماهير المسلمين وتحريكهم. وذلك ما يفسر لنا الحملة العالمية الشرسة الموجهة ضد الطليعة الاسلامية في كل مكان بتلفيق التهم وغيرها ونحن كذلك في حاجة الى المزيد من الصراحة فيما بيننا والاخلاص لأنفسنا والتجرد من انانيتنا مبتعدين عن الريب والشبهات وهذا المسلك لا يسلكه الا من كان يريد لنفسه الخير بصدق ولأمته السيادة والقيادة والسؤدد.

فاذا وفرنا هذا الذي نحن في حاجة اليه كنا بحق قد خطونا من الخطوات في سعينا الى الحرية والانعتاق والعزة والفوز بالدنيا والآخرة ولا تصيبنا مخمصة ولا نكد، والا فنحن معنيون ـ ولاشك ـ بوعيد الخطاب الذي أورده القرآن الكريم في قوله تعالى: **﴿وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم﴾**[1]

---

١ ـ سورة محمد. الآية: ٣٨